ضرورة تعليم الفلسفة والادب

لما مر « طاغور » أديب الهند ببلادنا من نحو شهر مضى أكرمه الناس على اختلاف طبقاتهم واجناسهم . ولم يكن طاغور كيمائيا أخرج للناس مادة تستخدم لطب جسومهم ، أو ينتفع بها فى بعض مرافق الحياة . ولم يكن طاغور مهندسا شق للناس نفقا فى الأرض أو مجازا الى البحار أو بنى لهم سلما للسماء يرقون عليه لرصد افلاكها ونجومها . ولم يكن الرجل سياسيا ابرم المعاهدات بين الدول أو كسب ما يكسب السياسى من خدعة فى حرب أو توفير بسلام . انما الذى حبب الى الناس أن يكرموا طاغور معرفتهم أنه امرؤ رقى فكره ورق شعوره وانه يحسن فى تأدية فكره وشعوره اذا ما أراد أن يفيض الى الناس بما يفكر وبما يشعر

فالناس اذن لا يقصرون همهم فى التكريم على من يعملون لترقية الحياة المادية مما فيه تحسين الصناعة أو ترقية العيش ، لكنهم يتعدون ذلك الى تكريم من يحسنون التفكير ويحسنون التعبير فكان فى عامة الناس وخاصتهم شعورا يلهمون به الى أهلية المفكرين والأدباء للتقدير . لما للتفكير والادب من شأن فى الحياة وخطورة ، وأن التفكر السليم هو عظمة لذاته وكل عظمة تقتضى مظاهر الاجلال

* * *

وكل انسان صحيح الطبع لابد وان يصل الى سن لا يقنع فيها بمحاكاة الناس فى كل ما يفعلون ، والجرى مجراهم فيما يبتغون ، الا اذا أقره فكره

فيمضى اذن فى بعض ما يمضى فيه طوعا لاوامر منطقه وتزولا لسلطان تفكيره .

وكذلك الامم فان حياتها أدوار وأطوار . وبعض أدوار الأمم طفولة وسذاجة لا مظهر فيها لتنوع الأعمال والفنون الذى هو علامة بلوغ الامم والذى هو نتيجة من نتائج التفكير للجماعات عند ما تفكر الامم فى حاجاتها

وأن دخول بعض الأمم فى الديانات الراقية وفيولها النظم السياسية الراقية دليل على أن تلك الامم التى بدلت دياناتها البائدة لديانات أرقى منها وغيرت نظمها السياسية البالية لنظم أصلح مما غيرت قد فكرت ووجدت بعد التفكير والروية أن تتحول الى ما تحولت اليه من عقيدة أو نظام

وفى الحق ان التفكير سواء أكان فى نتائج العلم او فى طريق السلوك أو فى تقدير الجمال أو فى تقدير الحياة ليس الا ضربا من الفلسفة .

ولست أبالغ اذا قلت أن حياة كل انسان انما تقوم على شىء من الفلسفة فالانسان فيلسوف اذا أمعن فى التفكير ، والانسان فيلسوف اذا مد نظره الى مقاييس الخير والشر ، والانسان فيلسوف اذا مد نظره الى مقاييس القبح والجمال ، والانسان فيلسوف اذا هو تأمل فى الحياة ومصيرها

ومن ذا من الناس لم يفكر قط فى خير الأعمال وشرها ؟ ومن ذا من الناس لم يفكر قط فى آثار العلم والصناعة ؟ ومن ذا من الناس لم يفكر قط فى الكون وعظمته وما فيه من جمال ؟ وكل ذلك يدل على أن الانسان نزاع بطبيعته الى التفكير فكأن أساليب التفكير تلازمه فى حياته وبما أن الفلسفة هى التعمق فى التفكر فكأن الفلسفة تلازمه فى حياته ووجب عليه أن

يروض نفسه عليها فيتعلمها

وكما أن المشي طبيعي للانسان لكن الجندي يروض نفسه على حسن المشي وتحمل اتعابه كذلك كل انسان فى حاجة الى أن يتعلم أساليب التفكر العميق ويدرب ملكاته الذهنية على ذلك

واذا قلت أنا فى مصر فى حاجة قصوى الى تعليم أساليب التفكر أو بالحرى تعليم الفلسفة فانى لم أرم القول جزافا بل عندى شواهد كثيرة تؤيد ما أرمى اليه . اذكر مرة انى كنت فى جلسة من جلسات الجامعة فى أول نشأتها واذكر انى سمعت من الجراح الاستاذ على بك ابراهيم لمناسبة ما كان يجرى فيه القول من حاجة شبابنا للتثقيف اذكر أنه قال ما معناه : انى أشعر بحاجة شبابنا الى أن يحسنوا ترتيب أفكارهم والتعبير عنها باحسان سواء أكان فى القول أو فى الكتابة فها انا ذا رجل ربما كنت أحسن فنى وأجيد وسائل مهنتى على أننى اردت أن اترجم آرائى أو اكتب أو أخطب فلعلى أجد صعوبة وعسرا . وفى مثل هذا القول من استاذ متواضع ما يدل على أن الانسان مهما رقى فى فنه الخاص فانه يحتاج الى رقى فى الثقافة التى تؤهله لاجادة التفكير وحسن التعبير واداة ذلك تعليم الفلسفة والأدب

أشد ما يحتاج اليه الاصلاح اذن فى برامجنا لاصلاح ناشئتنا هو العناية بادخال تعليم الفلسفة وترقية تعليم الأدب . وان العمل فى سبيل ذلك لهو من خير الاعمال وأجداها نفعاً

منصور فهمى